

معتقل الجرف بمنطقة الحضنة خلال ثورة التحرير الجزائرية (1955-1962).

~~~~~ أ. نور الدين مقدر \*

**مقدمة:** بعد اندلاع ثورة التحرير الجزائرية في الفاتح من نوفمبر 1954، وتوسع مجالها الجغرافي، وزيادة نشاط عملياتها العسكرية ضد قوات الاستعمار ومراكزه، سارعت السلطات الفرنسية إلى اتخاذ إجراءات عسكرية وسياسية وقانونية لمواجهة الوضع في الجزائر. ومن بين تلك الإجراءات إصدار عدة قوانين استثنائية منها قانون حالة الطوارئ الصادر في 03 أبريل 1955 وإقامة المعتقلات.

وفي هذا المقال سنتطرق لمعتقل الجرف، وهو من أهم المعتقلات التي أنشأتها السلطات الفرنسية بالجزائر خلال الثورة التحريرية، بعد أن نبين الفرق بين المعتقل والمحتشد والسجن لأن الكثير ممن يخطون بينها. وسنتناول موقع معتقل الجرف وكيف تم إنشاؤه؟ والإدارة والوسائل به وحياتة المعتقلين بداخله من خلال معاملة المعتقلين وأنواع وأساليب التعذيب به وصور من النضال فيه.

### الفرق بين المعتقل والمحتشد والسجن: - المعتقل:

**لغة:** جاء في بعض قواميس اللغة العربية ومعجمها مفردة "معتقل" من فعل "عَتَقَلَ" بتسكين العين وفتح ما بعدها، وتعني ألقى القبض وحبس. والاعتقال وردت بمعنى قبض على شخص وسجنه. و"المعتقل" اسم مفعول، جمع المعتقلون هو المسجون، أو المحجوز عليه. والمكان المخصص لهم يسمى معسكر اعتقال يحجز فيه أسرى الحرب المدنيين والموقوفون والمبعدون السياسيون والمنفيون والمشبهون.

لم يستعمل لفظ المعتقل عند العرب القدماء كثيرا، إذ كانوا يستعملون الأسر والسجن والحبس أما لفظ اعتقال فقد أستعمل كالتالي: عقله عن حاجته؛ أي حبسه.

**اصطلاحا:** "المعتقل" هو الفرد الذي يعتقل وفق تدابير أمنية بهدف حرمانه من حريته والعمل على تغيير سلوكه بأساليب مختلفة، والزج به في معسكر تقرره السلطة الادارية لأنه يمثل خطرا على الأمن والنظام.

\* أستاذ مساعد في التاريخ الحديث والمعاصر- قسم التاريخ- جامعة محمد بوضياف- المسيلة.

أما المعتقل كمكان فيطلق على مكان يجمع فيه الناس، وتفيد حريتهم<sup>1</sup>. وهو أيضا المكان المحروس الذي كان الفرنسيون يجمعون فيه الوطنيين والمناضلين. وخلال الثورة التحريرية عادت مكانة المعتقل كمصطلح تاريخي، إذ أصبح يعني عند غالبية الشعب الجزائري الحبس أو السجن<sup>2</sup>. ويطلق على كل مكان يُجمع فيه الناس وتفيد حريتهم فيه ويساقون إليه نتيجة لفوضى طارئة أو لثورة قائمة. فلا يتعرض من في المعتقل للمحاكمة.

ويتعرض المعتقلون للتعذيب النفسي؛ لأنهم ليسوا مجرمين حتى يبيت في أمرهم، وتختلف حياتهم في المعتقل باختلاف الإدارة التي تسيروهم، ولا يخضعون للباس معين، ويتمتعون ببعض الحريات داخل المعتقل؛ كالإطلاع على الصحف والسماع للإذاعة وبالتنقل في المراقد والفسحة في الفناء وبممارسة الرياضة والتعليم الفردي والجماعي<sup>3</sup>.

#### - المحتشد:

**لغة:** جاءت كلمة المحتشد من حشد أي تجمهر، تجمع، حشد السكان في مدينة وجمعها حشودا، أي جمع الناس في مكان محدود نسبيا، ومنها جاءت كلمة محتشد التي تعني مجتمع ومحفل.

**اصطلاحا:** المحتشد عبارة عن مستوطنة أقيمت حديثا تظم وطنيين غير محكوم عليهم قضائيا، تحيط بها أسلاك شائكة ويحرسها الجنود<sup>4</sup>. وبالتالي فهو مركز لتجميع السكان، حيث أن السلطات الفرنسية حاولت إقامة مراكز تجمع مع بداية الثورة للسكان أطلق عليها في غالب الأحيان اسم المحتشدات وحشدت فيها عائلات بكاملها تم ترحيلها. ويراعى في ذلك قربها من التكنات العسكرية والطرق الرئيسية، حيث يمكن مراقبتهم وإخضاعهم للعمل البسيكولوجي والهدف الحقيقي من هذه المحتشدات هو عزلهم عن الثورة وحرمانها من الدعم اللوجستيكي<sup>5</sup>.

- **السجن:** هو بناء مخصص للمنحرفين، يتميز بهندسة معمارية تقام لحجز المعاقبين من أفراد المجتمع ويبنى عادة بالإسمنت المسلح وتوضع على نوافذه شبابيك حديدية وأبوابه صفائح من الحديد السميك، ويسجن فيه من ارتكب جرما أخلاقيا أو مخالفة لقانون المجتمع بناء على مواد قانونية معينة. والمسجون لا يتمتع بأي حق من حقوقه المدنية عقابا له. أما الفرق بينها ففي المعتقلات أشخاص بمفردهم، أما في المحتشدات يتم حشد عائلات بكاملها وحتى قبائل وأعراش، بالإضافة إلى أنها يختلفان في طريقة التسيير والتنظيم الإداري يشتركان في انهما تحت الرقابة والمتابعة وطائفة التهديد بممارسة التعذيب، أما لسجن قديم قدم الحضارات بينما المعتقل والمحتشد لا تظهران

إلا في الحروب والصراعات بين الدول. وفي المعتقل يحشر ذوي الأفكار الحرة والاتجاهات السياسية المختلفة، وإذا زالت الحروب، وانتهت زالت المعتقلات والمحتشدات، ولا يبقى إلا السجن وهو مستمر ما استمرت الحياة المدنية والاجتماعية المنظمة<sup>6</sup>.

### معتقل الجرف:

**الموقع والإنشاء:** الجرف حاليا قرية تابعة لبلدية أولاد دراج، تبعد عنها ب03 كلم، وتقع شرق مدينة المسيلة تبعد عنها ب18 كلم. يعبر بجانبها الطريق الوطني رقم 40 الممتد بين المسيلة وبريكة، أنشأت بها السلطات الاستعمارية مجموعة مبان سكنية بعد الحرب العالمية الثانية لاستقرار حياة الرحل وامتھان حرفة الزراعة<sup>7</sup>. حيث قامت مصلحة الأشجار المثمرة بقسنطينة بدراسة لمنطقة الجرف، من حيث المناخ ونوعية التربة فوجدتها شبيهة جدا بمناخ وتربة تونس وتصلح لزراعة أشجار الزيتون فقررت السلطات الاستعمارية غرس أشجار الزيتون، وبناء مجموعة مباني بمنطقة الجرف وأولاد بن صوشة<sup>8</sup>. وبدأت الأشغال بها في ديسمبر 1946 من طرف مؤسسة الأشغال العمومية والبناء لصاحبها "Vincent cavalière"، حيث كلفت هذه المؤسسة بإنجاز البنايات وغرس أشجار الزيتون وهذا حسب تعليمة الحاكم العام رقم 2892 المؤرخة في 03 ديسمبر 1946 بمبلغ 25.264.984 فرنك. وتم استلام المشروع والمباني في 23 مارس 1950<sup>9</sup>. تم إنجاز 20 مجمعا سكنيا كل مجمع ب04 شقق بالجرف و18 بأولاد بن صوشة، وكل شقة تتكون من غرفتين مساحة الغرفة الواحدة 03م على 03م ومطبخ ومرآب (مستودع) وساحة صغيرة<sup>10</sup>. واستعمل في بناء قرية الجرف مواد محلية فقد بنيت بالطوب (اللبنات المصنوعة من الطين)، سقفها مقبب على شكل اسطواني مدعم بالأجر ذي ستة ثقوب مملوء بالجبس المدعم بالإسمنت أضيف للسقف من الأعلى الزفت المخلوط بالحصى، وظليت جدرانه الداخلية والخارجية بالجبس والطين. ولكن الذين أقيمت لأجلهم القرية رفضوا الإقامة بها. وقد طرحت السلطات الفرنسية المشروع على كل سكان بلدية المسيلة المختلطة لكنهم رفضوا ذلك.

وبقيت القرية مهجورة إلى أن نقل إليها معتقلو الشلال وتبخر مشروع استقرار سكان الهضاب الرحل<sup>11</sup>.

أما عن مناخ منطقة الجرف فهو امتداد طبيعي لمناخ منطقة الحضنة، فهو مناخ قاري يتميز بالحرارة المرتفعة والجفاف صيفا، وبانخفاض شديد في درجة الحرارة والبرد القارس في الشتاء. كما تهب رياح مختلفة على المنطقة

في جميع الفصول ومن أهمها الرياح المحيية التي تعرف عند السكان المحليين بالشهيلي، يهب من جهة الجنوب في فصل الصيف يتميز بالحرارة وحمله للأتربة وحببيات الرمل. لذلك كانت الظروف مواتية بالنسبة للسلطات الاستعمارية لاستخدامه كمعتقل بعد العاصفة التي قضت على معتقل الشلال. وتشير المراسلات الإدارية الفرنسية أن السلطات العسكرية كانت تفكر في إقامة معتقل بمنطقة المسيلة قبل أن يتعرض معتقل الشلال للعاصفة<sup>12</sup>.

وتشير المصادر إلى أنه لم يفتح كمعتقل إلا في 01 أكتوبر 1955 حيث بعد العاصفة التي قضت على معتقل الشلال<sup>13</sup>، اتخذ القرار بنقل المعتقلين والمعدات إلى الجرف بعد تهيئته وكلفت شركة " كنز لاس " بسطيف بتهيئته ونقل المعدات والتجهيزات إليه، وذلك قبل نقل المعتقلين والمؤونة من معتقل الشلال إلى الجرف. ووضع معتقل الجرف تحت مسؤولية المتصرف الإداري لبلدية المسيلة المختلطة ابتداءً من 30 أوت 1955 استناداً للمنشور الحكومي رقم 595. وكانت الإدارة الاستعمارية الوصية تُصر على الإسراع في تشغيل المعتقل، وحدد رئيس دائرة سطيف تاريخ فتحه ب01 أكتوبر 1955<sup>14</sup>.

بعد الكارثة التي حلت بمعتقل الشلال<sup>15</sup> لجأت الإدارة الاستعمارية إلى قرية الجرف التي تمت تهيئتها وحولتها إلى معتقل. فقامت بتسييج القرية بمختلف الأسلاك وأقامت غرف العزل (الزنزانات)، وغرف للتعذيب<sup>16</sup>. ومعتقلو الشلال هم من هيئوه حيث قاموا بحفر خنادق في الجهة الشرقية استعملت كمراحيض، أما الماء فيؤتى به بصهاريج من مدينة المسيلة<sup>17</sup>. كما أقيمت به ثلاثة حواجز من الأسلاك المعدنية كل خط يختلف عن الآخر وهي:

- السياج الأول: سلك محيط بكل مباني المعتقل يبلغ طوله 1420م مزود بأعمدة كل مترين ونصف، ومعزز بإنارة موجهة نحو الخارج، بالإضافة إلى مركزي حراسة يستعمل فيهما أسلحة أتوماتيكية وثمانية نقاط للحراسة على مختلف الجهات.

- السياج الثاني: سلك يحيط بمباني المعتقلين طوله 832م مدعم بإنارة موجهة نحو الداخل مثبتة على أعمدة كل عشرة أمتار.

- السياج الثالث: يقع بين الخطين السابقين، وهو من الأسلاك الشائكة والمديبية، بالإضافة إلى مركز شرطة عند مدخل المعتقل يتكون من عشرة أفراد مهمتهم مراقبة الواقدين والمغادرين والإشراف على ضبط الأمور الأمنية.

أما حراسة المعتقل فتعود إلى فصيلة الدرك المتنقل تتكون من 50 فرداً<sup>18</sup> هذا في سنة 1956، ولكن بعد عمليات الفرار التي قام بها بعض المعتقلين والتي سنرى تفاصيلها لاحقاً في هذا المبحث تضاعف عدد الحراس واشتدت الإجراءات الأمنية أكثر<sup>19</sup>.

**الإدارة والوسائل بمعتقل الجرف:** للمعتقلات تنظيم خاص مفصل بقوانين وتعليمات صادرة عن السلطات المدنية والعسكرية على مستوى الدائرة أو العمالة أو الحكومة العامة بالجزائر. وعليه فمعتقل الجرف لن يختلف عن غيره من المعتقلات حيث يتكون من الهياكل الإدارية التالية:

**1- المصلحة الإدارية:** على رأسها مدير يساعده عدد من الأفراد لضمان السير الحسن للمعتقل مهمتهم التموين بمختلف الأغراض والحاجات وتسديد الفواتير، تتكون من ضابط شرطة يتقن العربية وطبيب ومترجم وممرض ومحاسب وموزع البريد وسائق وراقن وسكرتير<sup>20</sup>.

**2- مصلحة العمل النفسي:** هذه المصلحة تابعة للفرق الإدارية المختصة "Sections Administratives spécialisées" التي أنشئت في 30 أفريل 1955 مطرف الحاكم العام جاك سوستال، حيث عين في البداية الجنرال "غاستون بارلانج" في منطقة الأوراس الذي نصب المكاتب الأولى ذات الصبغة المشتركة المدنية والعسكرية والتي ألحقت بالديوان العسكري للحاكم العام، وظهرت هذه الفرق بصفة رسمية بموجب قرار صدر في 26 سبتمبر<sup>21</sup> 1955. وتمثلت مهمتها في تكثيف العمل النفسي والاجتماعي للجيش الفرنسي في الأرياف والمدن قصد عزل الشعب عن الثورة. ويتمثل عملها النفسي في التركيز على التعذيب النفسي بالترغيب والترهيب وزرع الخوف في النفوس وإصدار الاتهامات والسعي من أجل توظيف عملاء بتقديم مختلف الإجراءات لخلق طبقة موالية عميلة. وأسندت لها مهام داخل المعتقلات والمحتشدات. وعملت في معتقل الجرف وكان لها دور كبير، حيث كانت تستقبل عشرات المعتقلين ممن يطلق عليهم صفة المشبوهين، وأسندت هذه المهمة لضباط الشؤون الأهلية<sup>22</sup> المنتمين للمكتب الخامس، ويقوم هؤلاء الضباط بالمهام التالية داخل المعتقل:

- الاحتكاك والاتصال بالمعتقلين لاكتشاف نقاط الضعف والقوة، ولا يمكن للفريق الإداري أو الوحدة العسكرية أن تتدخل في عمل الضباط النفسانيين فيما يخص شؤون المعتقلين إلا من باب التنسيق.
- تتكفل بالقضايا الاجتماعية والعائلية للمعتقلين.
- تراقب البريد الصادر والوارد.

- تراقب الزيارات.
- تقدم دروسا في الفرنسية والعربية والحساب.
- للمصلحة الحق في اقتراح تسريح المعتقلين أو تحويلهم والعمل على تحديد العناصر الخطيرة واقتراح تحويلها.
- تنظيم لقاءات فردية مع المعتقلين، والتقرب منهم بواسطة الاهتمام بهم وبمشاكلهم واقتراح حلول وتقديم إعانات مالية لهم ولعائلاتهم.
- ضبط وجود المعتقلين بالمناداة اليومية.
- إعداد بطاقة معلومات عن كل معتقل<sup>23</sup>.

وبلغ عدد الضباط الذين يقومون بهذه المهام في معتقل الجرف بتاريخ 1958/12/12 أحد عشر نفسانيا بالإضافة إلى حاجب وسائق وراقنا<sup>24</sup>. وبالتالي فإن هذه المصلحة أهم مصلحة وأخطرها، حيث تقوم بالاتصال بالمعتقلين، والاحتكاك بهم، وتشجيع المحبطين نفسيا، وزرع الشك والريبة في نفوسهم، وتركيب المؤامرات، وعزل المؤثرين والمحورين والهدف من هذا العمل كله هو غسل الأذهان وإعادة تكوين جزائريين يعملون لصالح فرنسا. ولكن فرنسا كانت متخوفة من أن تكون الأمور عكسية لأن تصبح المعتقلات مركزا للدعاية لصالح جبهة التحرير الوطني، وتخاف من هؤلاء المعتقلين بعد تسريحهم وهذا ما كان في معتقل الجرف بالفعل، ففي أحد المنشير الصادرة في 1958/08/23 عن ديوان الوالي العام المقيم بالجزائر التي تنظم وتوجه مختلف الهيئات المستحدثة في الجزائر، وتبين لها طرق ومناهج العمل، فقد جاء في مقدمة المنشور: " لكن بحسب علمي أنه لم يذكر أي تقدم في مجال العمل النفسي، الموجه لإقصاء الدعاية الداخلية التي تهدد حاليا، أن تجعل الغالبية العظمى من المعتقلين إلى أعوان للثورة لا يجب أن ننسى أن هؤلاء الناس يسرحون يوما ما وتسريح حوالي 2000 إلى 3000 مشوش يؤخر بصفة معتبرة عملية التهدئة المتخذة"<sup>25</sup> وبالفعل فقد تحول معتقل الجرف إلى مركز للدعاية للثورة ورمز للتلاحم والعمل النضالي.

**الحياة داخل المعتقل:** يؤكد المعتقلون الذين حاورناهم أو الذين أطلعنا عن شهاداتهم المكتوبة أن حياتهم كانت جد صعبة وشاقة، حيث كانت الممارسات التعسفية والاضطهاد وحتى القتل وهذا ما رواه الكثير من المعتقلين في تحقيق قام به أحد صحفيي جريدة النصر حول معتقل الجرف سنة 1984م<sup>26</sup>، وأيضا ما أطلعنا عليه في التقارير والرسائل الواردة والصادرة عن إدارة المعتقل والتي تبين المعاناة التي عاشها المعتقلون في هذا المعتقل. ويمكن تقسيم ذلك إلى ثلاثة عناصر وهي: معاملة المعتقلين والأساليب التي استعملت لإذلال

وتعذيب المعتقلين كما نرى بعض الصور من التضامن بين المعتقلين والتحدي للإدارة الفرنسية.

**1- معاملة المعتقلين:** لكي تحقق السلطات الاستعمارية نتائج مهمة استغلت معيشة المعتقلين داخل المعتقل لصنع أعوان لها عن طريق غسل الأمخاخ والتأثير النفسي، ومحاولة استغلال الجانب الاجتماعي للمعتقلين خاصة منهم المتزوجين والمغتربين ومن بين الوسائل التي استعملت الدعاية لتحطيم معنويات المعتقلين معتمدة في ذلك على وسائل إعلامية حديثة بطريقة مباشرة وغير مباشرة ومن الوسائل غير المباشرة:

- توزيع جريدة أسبوعية البلاد " Le Bled " هذه الجريدة التي كان يسحب منها 350.000 نسخة أسبوعيا وتوزع مجانا، هذه الأسبوعية تهتم بتشجيع الجنود الفرنسيين، وتدعو المحاربين الجزائريين للالتحاق بالسكان، وتقدم الجيش الفرنسي بشكل مثير على أنه صمام الأمان والحارس الأمين لكل ما يخص الجزائر<sup>27</sup>. وكانت هذه الأسبوعية توزع في المعتقل أحيانا مباشرة، وأحيانا تنزع منها قصاصات فيها مواضيع وتعلق على لوح الإعلانات والعرض.

- البث الإذاعي لصوت البلاد "La voix du Bled" يبث نصف ساعة كل يوم تخصص لحصص يقدمها مختصون في الدعاية والعمل النفسي ينظمون حملات إعلامية بشعارات كثيرة مختلفة تذاع بمكبرات الصوت والقصد منها زعزعة ثقة الجزائريين في جبهة التحرير وجيش التحرير الوطني<sup>28</sup>. وكان المعتقلون يستقبلون هذا البث ثلاث مرات في الأسبوع الثلاثاء والجمعة والأحد. وكانت تبث أغاني مختارة بمختلف اللهجات عبر مكبر الصوت وأيضا بث بيانات وأخبار مغرضة.

لوحة الإعلانات "Tableau d'affichage" تثبت عليه مختلف الصور الدعائية والبيانات الموجهة وقصاصات الجرائد التي تمجد عمل الجيش الفرنسي، وأهم الجرائد التي كانت مخصصة للمعتقل -"El Djazair" "Le Message d'Alger" - "Le Bled" - "L'Echos d'Alger" 29. ومن بين الوسائل المباشرة:

- الاحتكاك والاتصال المباشر بالمعتقلين سواء عن طريق استدعائهم للمكتب للقيام بالعمل المعتاد أو زيارتهم لغرفهم (العنابر) وإدارة لقاءات فردية وجماعية محاولة لكسب ثقة المعتقلين.

- النصح والتوجيهات لبعض الأفراد الذين يظهر عليهم الضعف لاصطيادهم بمختلف الإغراءات واستعمالهم في مهمات مقابل التسريح أو الإجازة أو

إعانة مالية أوجس النبض عن طريق دردشة وتبادل أطراف الحديث حول مائدة قهوة أو شاي.

- توزيع البريد على المعتقلين وتقديم الدروس وذلك لكسر عمل جبهة التحرير الوطني ونسف استراتيجية مندوبية جبهة التحرير الوطني داخل المعتقل.<sup>30</sup>

**2- أنواع وأساليب التعذيب داخل المعتقل:** أستعمل التعذيب في الجرف بنوعيه النفسي والجسدي ومورست أساليب جهنمية لزرع الضعف والخوف في نفوس المعتقلين وتحطيم معنوياتهم لأجل إخضاعهم. ومن بين أساليب التعذيب النفسي التي مورست في معتقل الجرف نذكر:

- الظروف الصعبة التي كانوا يعيشها المعتقلون وهذا بشهادة المدير الجديد الذي عين للإشراف على معتقل الجرف بعد نقل المعتقلين مباشرة من معتقل الشلال إلى الجرف، والذي عين مكان النقيب "بريتو" في 20 أكتوبر 1955 حيث قام بتشكيل لجنة من أجل تقييم الوضع في معتقل الجرف فخلص إلى أن المعتقلين يعيشون ظروف مزرية؛ بين العراء والجوع وقلة الماء في أكواخ بالية ما أدى إلى إصابة العديد منهم بأمراض مزمنة وأخرى معدية ويقول في التقرير الذي كتبه إلى الحاكم العام: " في اللحظة التي نزلت فيها حاكما على المعتقل كانت مؤسسة " كنز لاس " تقدم لهؤلاء الناس صحن حساء يوميا، وبعض الخبز إضافة إلى حفنة تمر... ولا يفوتني أن أشير إلى الاحتقار والازدراء الذي يعاني منه سكان المسيلة عامة من طرف العساكر حيث مثلا يبقونهم واقفين أمام جدار لساعات طويلة حتى ينهاروا من العياء والإرهاق وقد عاينت ذلك بنفسي."<sup>31</sup>

- سوء التغذية حيث يذكر الكثير من المعتقلين أنها كانت رديئة جدا من حيث الكمية والنوعية وكانت تقدم في أوان حديدية قديمة مصدأة، بكميات قليلة فكان يقدم في الفطور في شهر رمضان بعد صوم يوم كامل قطعة مكورة من غرس التمر وحببتين من الطماطم وحبّة بصل.<sup>32</sup>

- مدهامة الحجرات في كل الأوقات خاصة في الليل واستدعاء المعتقلين والحديث معهم فرادى أو جماعات كما تطرقنا له سابقا لاستكشاف خبايا الضمائر والاطلاع على ما يختلج في الخواطر وعلى حسب أجوبة المعتقلين يتم تصنيفهم.

- مباغثة المعتقلين حيث ما كانوا ودعوتهم إلى الوقوف والقيام بالتحية العسكرية مع السب والشتم والعبارات النابية والملاحظات القاسية.

- إخراج المعتقلين كل عشية من حجراتهم وحملهم على الاصطفاف لتحية العلم الفرنسي بالقوة أي بالضرب والسب والشتم.<sup>33</sup>

- اعتقال المرضى وكبار السن وهذا ما وجدناه في رسالة ضابط الشرطة المساعد بالجرف إلى المتصرف الإداري لبلدية المسيلة المختلطة حول الوضعية الصحية المتدهورة للكثير من المعتقلين، ويذكر في رسالته هذه بعض الأشخاص منهم ميرة أحمد متقدم في السن ويعاني مرض السرطان، غربال السعيد متقدم في السن ويعاني أمراض عدة كمرض السكر وهو متعب جدا، سهاليلية المختار ومناصرية علي وغيرهم.<sup>34</sup> كما يوجد في المعتقل الكثير من المصابين بالأمراض العقلية إما اعتقلوا على ذلك الحال، أو أصيبوا بذلك من خلال التعذيب والمعاملة القاسية مثل كتفي شريف الحاج بن العيد الذي حول من معتقل قصر الطير إلى الجرف بتاريخ 1955/10/22 حيث قام بحمل سكين وهدد المعتقلين داخل المعتقل، وأيضا ما أثبتته طبيب عيادة المعتقل بشهادات طبية لكثير من المعتقلين منهم: زيمان مخلوف وكتفي شريف الحاج المذكور سابقا، وما ورد في رسالة موجهة من مدير المعتقل إلى نائب الوالي بالمسيلة حول عزل معتقل يمثل خطر على زملائه المسمى سامعي السامعي.<sup>35</sup>

ومن خلال ذلك نستنتج أن السلطات الفرنسية كانت تعتقل حتى المرضى والمجانين والكثير ممن اعتقلوا أصحاء مرضوا بأمراض مختلفة منها خاصة الأمراض العقلية والذين يزالون على قيد الحياة.

التعذيب الجسدي: حسب شهادة الكثير من معتقلي الجرف أن كل من مر بمعتقل الجرف تعرض للتعذيب الجسدي وهذه أمثلة على ذلك:

- كان كل المعتقلين الذين يأتون إلى المعتقل يستقبلون بالسب والشتم والمشى على الركبتين والأيدي على الرأس، ثم يتقدمون الواحد يلو الآخر إلى مكاتب غسل الأمخاخ في مصلحة العمل النفسي، وعندما لا يدلي بأي معلومة يبدأ التعذيب الجسدي مثل ما حدث لعبد المجيد غطاس أحد معتقلي الجرف في روايته حول معتقل الجرف، حيث تم استقباله بالضرب بالكلمات حتى ثقب طبل أذنه وسالت الدماء منها.<sup>36</sup>

- محاصرة المصلين من طرف الجنود وهم مدججين بالأسلحة والكلاب المروضة وتهديدهم وعندما لا يلتزم المصلون بذلك الأمر يطلقون عليهم الكلاب والرصاص عشوائيا لتفرقتهم وحدث ذلك في صلاة عيد الفطر سنة 1956 حسب رواية محمد الشبوكي.<sup>37</sup>

- الرمي بالحجارة من طرف الجنود للمعتقلين وهم يؤدون الصلاة.<sup>38</sup>

- القتل العمدي لبعض المعتقلين ففي أحد الأيام تقدم أحد المعتقلين لرفع الأذان، فرماه أحد الحراس بوابل من الرصاص فأراده قتيلا، ثم تقدم الثاني

فتلقى نفس المصير ثم الثالث فلقي نفس المصير، حتى الرابع الذي وفق في إتمام الأذان<sup>39</sup>.

- إخراج المعتقلين بالقوة من حجراتهم ثم ينهالون عليهم بالضرب بأعقاب البنادق وإطلاق الرصاص لترويعهم، وهي شهادة لمدير المعتقل والذي أشرنا له سابقا الذي كتب تقريره إلى الحاكم العام حيث ذكر أن ما يحدث في معتقل الجرف لا يعكس قيم الحضارة الفرنسية وكتب في تقريره الذي ذكرنا بعضا منه سابقا ما يلي: "إن ما يحدث في مركز الجرف، يجعلني أخجل من أن أكون فرنسيا، وأضن أن علينا استجواب كل المعتقلين من أجل الوصول إلى الطرف المسؤول عما يحدث"<sup>40</sup>.

**3- صور من النضال داخل المعتقل:** رغم الإجراءات الأمنية المشددة على المعتقلين لمنع انتشار الثورة وإيصال صوتها داخل المعتقلات والسجون والمحتشدات، إلا أن جبهة التحرير كانت أقوى حيث استطاعت اختراق تلك الحواجز والإجراءات وتخطت مختلف العوائق، وأقيمت خلايا ولجان تابعة لها بداخل تلك المعتقلات والسجون والمحتشدات بل أصبحت مراكز لنشر الوعي الوطني وغرس الروح الوطنية ومعتقل الجرف من أحسن الأمثلة على ذلك؛ نظرا للمعاناة والرتابة والفراغ فكر المعتقلون في إقامة لجان للمطالبة بحقوقهم من خلال اتصالاتها مع إدارة المعتقل قصد تقديم مطالبها، وقد استطاع المعتقلون من خلال مطالبهم المستمرة للحصول على بعض الحقوق التي يتضمنها النظام الداخلي للمعتقل، الذي احتوى على تشكيل مندوبية للمعتقلين تمثلهم لدى إدارة المعتقل وتكون قناة اتصال بين الإدارة والمعتقلين ويتولى المعتقلون تسيير حياتهم اليومية؛ مثل التكفل بالطبخ وقراءة الجرائد واستقبال الزيارات والرياضة وتخصيص حصص التعليم<sup>41</sup>، فتشكل تنظيم أطلق عليه المندوبية "La Délégation" تتكون من أربعة أفراد كل فرد من جهة من الجهات الأربعة للمعتقل (رئيس، نائب رئيس، مسؤول معتقل، أمين السر) ولهذه المندوبية لجان فرعية منها:

- اللجنة الثقافية: مهمتها تعليم الأميين القراءة والكتابة وتقديم دروس في اللغة العربية والفرنسية والحساب وأصول الدين... الخ. ومن بين أعضاء هذه اللجنة الشيخ الأستاذ محمد الشبوكي<sup>42</sup> صاحب النشيد الثوري الوطني المشهور: جزائرنا يا بلاد الجود نهضنا نحطم عنك القيود.

هذا النشيد الذي يعتبر النشيد الثاني في الجزائر بعد النشيد الوطني "قسما"؛ ففي منتصف جانفي 1956 حسب رواية الشيخ محمد الشبوكي جاءت سيارة تحمل عناصر من جيش التحرير الوطني، وطلبوا منه أن يرسل

إليهم نشيدا يحفظونه ويتغنون به فكتب البيت الأول من القصيدة جزائريا بلاد الجرد نهضنا نحطم عنك القيود، وأرسله إليهم بعد أن سجله على ورقة، ولم تمض أيام قليلة حتى باعته فرقة عسكرية وألقت عليه القبض ليلة العاشر من فيفري 1956 ونقل إلى الجرف أين واصل كتابة النشيد والذي أكمله في معتقل عين وسارة بالجلفة.<sup>43</sup>

ومن بين أعضاء هذه اللجنة أيضا الأستاذ الذي كان يدرس بثانوية قسنطينة قبل اعتقاله حيحي المكي.<sup>44</sup>

اللجنة الرياضية: ومهمتها تنظيم حصص رياضية للمعتقلين. لجنة التعاون: ومهمتها التفكير في التعاون والتضامن بين عائلات المعتقلين ومساعدة بعضهم بعض.

لجنة العدالة: مكافئة بفض النزاعات والمشاكل التي عادة ما تحدث بين المعتقلين.

لجنة الإطعام: تتكفل بتنظيم المعتقلين عند تناول الوجبات وتقديم الاحتجاجات حول نوعية الأكل.

لجنة الاستقبال: تقوم بالاتصالات بالمعتقلين الجدد، ومعرفة حياتهم السياسية وظروفهم العائلية ومستواهم الدراسي.<sup>45</sup>

هذه لجان تعمل في العلن أي تقوم بنشاطاتها في العلنية، وتوجد لجنة سرية والكثير من أعضائها هم أعضاء في المندوبية، وكان دورها يتمثل في توحيد آراء المعتقلين وإصدار موقف موحد لإحباط كل الدسائس التي تحاك ضدهم. ولهذه اللجنة السرية السلطة الفعلية في اتخاذ جميع القرارات التي لها طابع سياسي أو سمة نضالية كالإضراب عن الطعام ويتم تبليغ ذلك عن طريق القناة الرسمية ومن مهام هذه اللجنة:

- تطبيق البرنامج الدراسي باللغة العربية وبلغات أخرى.  
- تنقية الأنباء الواردة من السلطات الاستعمارية عن طريق وسائل الاتصال المذكورة سابقا وعرضها بشكل يربي في المعتقلين ملكة الصمود وينمي فيه روح المقاومة والثبات.<sup>46</sup>

ومما زاد من قوة هذه اللجنة السرية جو التكتم الذي يحيط بها، فلا يمكن بأي حال من الأحوال أن تطلع إدارة المعتقل على أفرادها، ومن أهم النشاطات البطولية التي قامت بها ما يلي:

- الإضرابات عن الطعام والتي تجعل إدارة المعتقل في حرج.<sup>47</sup>  
- التزامهم بأوامر جبهة التحرير الوطني، وخير مثال على ذلك إضراب الثمانية أيام الذي دعت إليه قيادتها من 28 جانفي إلى 04 فيفري 1957، حيث

ألترزم معتقلو الجرف به وأضربوا عن الطعام تضامنا مع إخوانهم. ولمعرفة مدى استجابة المعتقلين للإضراب نرى مقتبس من رسالة صادرة عن ضابط الشرطة المساعد بمعتقل الجرف موجهة إلى السلطات العليا جاء فيها: "... ليكن في علمكم أن الإضراب المنظم من طرف جبهة التحرير الوطني أتبع هنا في الجرف بشكل واسع وبأغلبية ساحقة، حيث بعد حضورهم إلى المناداة في الصباح عادوا إلى غرفهم، ولم يخرجوا ماعدا عمال المطبخ والعيادة والمولد الكهربائي لم يتوقفوا عن العمل".<sup>48</sup>

- تزويد المعتقلين المستدعين إلى مكتب العمل النفسي بالمعلومات الضرورية، ونفي كل المعلومات حول الثورة والتصدي لكل الإغراءات، والصبر على التعذيب الجسدي في سبيل الوطن.

- تهريب المعتقلين حيث تكونت لجنة سرية جدا لهذا الغرض ومن مهامها اختيار الذين يستعدون للهروب من المعتقل حسب شروط معينة كالصحة البدنية، الإقدام النضج السياسي والشجاعة... الخ.

وكانت الأولوية في الفرار للذين تعتبرهم السلطات الفرنسية خطرا<sup>49</sup>. وبدأت تعمل في إطار الجدية والسرية التامة، ومن أهم أعضاء هذه اللجنة المعتقل حيحي المكي، الذي كان مكلفا بالتموين من مدينة المسيلة رفقة سائق فرنسي وجندي مسلح للحراسة، وتم تهريب العشرات من المعتقلين إلى معاقل الثورة<sup>50</sup>، ومن هذه العمليات عملية فرار المناضل حيحي المكي ضمن الفوج الثاني الفار من المعتقل في أبريل 1956م<sup>51</sup>. وعملية فرار أخرى يذكرها أحد أعضاء اللجنة السرية الذي لم يفصح عن اسمه كانت عبر فوهة إحدى قنوات الأوساخ في ليلة 15 جويلية 1956 مع مناضلين آخرين والتحقوا بقيادة الثورة بجبال المعاضيد بمنطقة الحضنة<sup>52</sup>. وأيضا عملية أخرى تمثلت في فرار ثلاثة معتقلين قتل واحد ونجا اثنان وهما المناضل مصباح جعفر وزميله بوخشتم محمد<sup>53</sup>.

### الهوامش:

- 1- جبرار كورنو، معجم المصطلحات القانونية، مادة عقل، الجزء ص ي، ت: منصور القاضي، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1998، ص 1542.
- 2- عبد المالك مرتاض، المعجم الموسوعي لمصطلحات الثورة الجزائرية (1954-1962)، مادة معتقل، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 112. --- 3- محمد الطاهر عزوي، ذكريات المعتقلين، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1996، ص 13.
- 4- عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص 106.
- 5- عبد الكريم بوالصفا، حرب الجزائر ومراكز الجيش الفرنسي للقمع والتعذيب في ولاية سطيف، (1954-1962)، مديرية ومنظمة المجاهدين لولاية سطيف، 1998، ص 53. --- 6- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص 11- 13.
- 7- أحسن بن بلقاسم كافي، نزول المعتقلات (1955-1962)، مطبعة الوليد، الجزائر، 1985، ص 21.

8- أولاد بن صوشة: منطقة تبعد عن الجرف بنحو 08 كلم من الناحية الجنوبية الغربية أقيمت بها وحدة عسكرية جزائرية (مركز للتعبئة والاستنطاق).

9 - Archive de la Commune Mixte de M'sila, Boite N°147, Dossier N°01

10 - A.C.M.M, Boite N°37, Dossier N°04.

11 - أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص21.

12- رسالة صادرة عن الحاكم العام موجهة لمصالح مراكز الإيواء بتاريخ 1955/10/17م، انظر، A.C.M.M, Dossier N°0499Boite N

13- تم إنشاء معتقل الشلال استنادا لقانون حالة الطوارئ الصادر في 03 أبريل 1955، بالمكان المسمى حاليا العجيلة ببلدية خطوط سد الجبر دائرة الشلال ولاية المسيلة . وهو معروف بمعتقل الشلال، يبعد ب37 كلم جنوب المسيلة، في سهل منبسط فسيح خال من النباتات إلا بعض النباتات السهبية كالشاي والحدج، في رقعة جرداء مترامية الأطراف.

توجد رسالة من رئيس دائرة سطيف بتاريخ 1955/09/09. A.C.M.M, Boite N°99, Dossier N°04. 14- 15- في أمسية يوم الثالث وليلة الرابع من شهر أوت 1955 حلت عاصفة هوجاء على المنطقة؛ حيث اشتدت فيه الحرارة، وتشكلت زوايع رملية، ثم تحولت إلى عاصفة قوية مصحوبة ببعض الأمطار ازدادت قوة ولكن العاصفة اقتلعت خيم المعتقلين ومزقتها كلها وكان عددها آنذاك 75 خيمة، فتمسك المعتقلون ببعضهم مثنى مثنى، وثلاثة ثلاثة وقال أحد المعتقلين واصفا ماجرى: " لانرى بعضنا، الكل ساقط على الأرض، ولا نسمع إلا صفير الصفائح القصديرية التي اقتلعتها من على سقوف البيوت التي يسكنها الحراس حاملة كل ما أعترضها في الطريق، من أمتعة المعتقلين وتمسك الرجال ببعضهم، ولا أحد يستطيع أن يرفع رأسه قيد شبر عن وجه الأرض، ويرى أمتعته أخذتها العاصفة ولا يستطيع أن يمد يده ولا أن يرفع رأسه، وقد اشتد صفير الأشياء التي تمر فوق الرؤوس على الأرض وتحصد كل مل تجده أمامها".

16- وزارة المجاهدين، من يوميات الثورة الجزائرية 1954-1962، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، روية، 2005، ص 27.

17- محمد الطاهر عزوي، المصدر السابق، ص39.

18 - A.C.M.M, Boite N° 99, Dossier N°04.

توجد رسالة بتاريخ 05 ماي 1956 صادرة عن مدير معتقل الجرف إلى السلطات العسكرية العليا.

19- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 28.

20 - A.C.M.M, Boite N° 99, Dossier N° 04.

يوجد منشور بتاريخ 23 أوت 1956 رقم 3539، صادر عن ديوان الوالي المقيم بالجزائر. --- 21- محمد شمبازي، المحتشدات بولاية سطيف، محتشد بازر سكرة رقم 05 نموذجاً ( 1954 - 1962 )، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة، 2008/2007، ص 33. --- 22 - ضباط الشؤون الأهلية: هم مجموعة من الضباط الفرنسيين الذين تخرجوا من معاهد متخصصة في الدعاية وعلم النفس وعلم الاجتماع والشؤون الجزائرية، يتقنون اللغة العربية، والأمازيغية، واللهجات المحلية، ومطلعين على التاريخ والدين الإسلامي.

23- A.C.M.M, Boite N° 99, Dossier N° 04. --- 24 - A.C.M.M, Boite N°194, Dossier N°03.

25 - A.C.M.M, Boite N° 99, Dossier N° 04.

يوجد منشور مؤرخ في 23 أوت 1958، رقم 7539، ص1. --- 26 - الشاذلي زقادة، "معتقل الجرف أرادته المستعمر سجنا للأحرار فحولته إرادة التحدي الى رمز للتلاحم والعمل النضالي"، جريدة النصر، بتاريخ 03 أكتوبر 1984، ص 12.

27- Slimane Chikh, L'Algérie en armes ou le temps des Certitudes, 2eme édition, Casbah éditions, Alger, 1988, p 201. --- 8 - lb.id, p 201.

توجد تقارير شهرية لمصلحة العمل النفسي والنصف شهرية. A.C.M.M, Boite N°42, Dossier N°01. --- 31- Denise et Robert Barrât, Algérie 1956, Livre Blanc Sur répression, Textes et documents, éditions barzakh, Alger, 2001, p p 43-44.

32- جريدة المجاهد، " من جسيم المحتشد إلى جبالنا الحرة (قصة جزائري فر من الجرف)"، ج1، العدد 19، بتاريخ 01 مارس 1958، ص 08. --- 33- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 23.

34- A.C.M.M, Boite N°257, Dossier N°01. --- 35- A.C.M.M, Boite N°257, Dossier N°01.

36- لمزيد مما رواه عبد المجيد غطاس حول تعذيبه في معتقل الجرف، ينظر مجلة أول نوفمبر، العدد 157- 158، سنة 1997، ص 07.

37 - محمد زروال، الحياة الروحية في الثورة الجزائرية، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، 1994، ص ص 97- 99. وينظر أيضا عليّة عثمان بن الطاهر، لقاء مع الشاعر محمد الشبوكي، مجلة أول نوفمبر العدد68، سنة 1984، ص 103.

- 38- جريدة المجاهد، " من جحيم المحتشد إلى جبالنا الحرة ( قصة جزائري فر من الجرف)"، المقال السابق، ص 08.
- 39- حوار مع المجاهد زيتوني محمد، بمقر سكنه بمدينة المسيلة بتاريخ 25 جوان 2010. ينظر أيضا الشاذلي زقادة، المرجع السابق، ص 12.
- 40 - Denise et Robert Barrât, op.cit, p 45.---- 41 - Sylvie Thenault, op.cit, p p 35 - 37.
- 42- محمد الشبوكي: شاعر ومرّب، ناضل في صفوف جمعية العلماء المسلمين، كانت له مشاركة فاعلة في الثورة التحريرية ولد عام 1916 بالشريعة ناحية تبسة بها نشأ وتعلم على يد الشيخ العربي التبسي تخرج من جامع الزيتونة، ولما اندلعت الثورة انخرط في صفوفها واعتقل في فيفري 1962 بمعتقل الجرف ثم عين وسارة وفيها كتب النشيد الثوري المعروف ( جزائرنا يا بلاد الجدود ...). ينظر نور الدين مراح، " الشاعر محمد الشبوكي يروي قصة كتابة النشيد الثوري ( جزائرنا يا بلاد الجدود) "، مجلة الحدث العربي والدولي، العدد 24، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، ص 71.---43- المقال نفسه، ص 71.
- 44- يحيى المكي: من أوائل مجاهدي الولاية الأولى، ولد في 1932/10/25 بعين البيضاء ولاية أم البواقي، أتم دراسته وحصل على الشهادة العليا بالمدرسة الفرنسية العربية بالجزائر، عمل أستاذ بثانوية قسنطينة أنظم إلى الثورة في أيامها الأولى، واكتشف أمره، اعتقل في نوفمبر 1955، وكان يشرف على تنظيم وتوجيه المعتقلين وبعد عدة أشهر دبر خطة لفرار المعتقلين وكان ضمن الفوج الثاني الفار من المعتقل في أبريل 1956، التحق بقيادة الأوراس، وفي سنة 1957 عين قائدا برتبة نقيب على المنطقة الأولى الولاية الأولى وأستشهد في منطقة الحضنة في 1957/11/30. ينظر عبدا الله مقلاتي، قاموس أعلام شهداء وأبطال الثورة الجزائرية، مطبعة بلوتو، الجزائر، 2009، ص 240.
- 45- A.C.M.M, Boite N°42, Dossier N°01. تقرير شهر ديسمبر 1958.
- 46- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق، ص 26.--- 47- جريدة المجاهد، " من جحيم المحتشد إلى جبالنا الحرة (قصة جزائري فر من الجرف)"، المقال السابق، ص 8-9.
- 48- A.C.M.M, Boite N°144, Dossier N°01..480 رقم في 1957/01/28، توجد رسالة مؤرخة في
- 49- جريدة المجاهد، من جحيم المحتشد إلى جبالنا الحرة (قصة جزائري فر من الجرف)، المصدر السابق، ص 8.
- 50- أحسن بن بلقاسم كافي، المصدر السابق ل، ص 27.---51- مقلاتي عبد الله، المرجع السابق، ص 240.
- 52- جريدة المجاهد، من جحيم المحتشد إلى جبالنا الحرة (قصة جزائري فر من الجرف)، المصدر السابق، ص 08 - 09.
- 53- الطيب بن نادر، الجزائر حضارة وتاريخ، الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها المشرف، دار الهدى، عين مليلة، 2008، ص 130.

**Abstract:** After the start of the Algerian Revolutionary war in November 1954 and its geographical extension and the increase of its military operations against the colonial forces, the French authorities began to take some measures in order to face the satiation in Algeria.

Among these measures, passing exceptional law slake emergencies in April 03<sup>rd</sup>, 1955. and building detentions.

In this article, we are going to speak about the detention of "EL Djorf" located in the region of " EL Hodna" which was considered as one the most important detentions made by authorities in Algeria during the Revolutionary war. In addition to this, we are going to show the difference between a detention centers, camps and prisons. Moreover,

We are going to talk about the location of "EL Djorf" detention and how was its foundation, administration and life inside it through the treatment of the drainers and the different tortures used there struggle.